عنوان الدرس : حول إمكانية قيام دولة مسيحية على أسس دينية

كود الدرس :les_ak_10

الكاتب : دراسه اون لاين

إن فكرة قيام دولة مسيحية على أسس دينية هى فكرة غير مسيحية وليس لها أى أساس فى الكتاب المقدس ، ولم يكن فمخطط الله أن تقوم على بقعة من الأرض مملكة لها مقومات الدولة بحدودها الجغرافية ودستورها وجيشها وبرلمانها وملكها وما إلى ذلك ، بل على العكس من ذلك فإننا نجده يعارض هذه الفكرة من أساسها .

وإننا لنجد جذور هذه المسألة فى العهد القديم ، فحين جاء شيوخ الشعب اليهودى إلى صموئيل نبيهم وقاضيهم طلبوا إليه قائلين : " فالآن إجعل لنا ملكاً يقضى لنا كسائر الشعوب " فساء الأمر فى عينى صموئيل إذ قالوا " أعطنا ملكاً يقضى لنا ، وصلى صموئيل إلى الرب ، فقال الرب لصموئيل : إسمع لصوت الشعب فى كل ما يقولون لك ، لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا حتى لا أملك عليهم، وحين حاول صموئيل أن يحذرهم من عواقب قرارهم وإختيارهم رفضوا.

يقول الكتاب المقدس " فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا : لا بل يكون علينا ملك فنكون نحن أيضا مثل سائر الشعوب ويقضى لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا " (صموئيل الأول 8 : 5-7 ، 19 ،20) ، كان الله يرغب أن يكون ملكاً عليهم مباشرة ، يتطلعون إليه كمصدر رعاية وسيادة ، كان يريد أن يقيم علاقة شخصية مع كل واحد منهم ليشعره بدفء محبته ويشمله بعنايته الإلهية الأبوية ، ويريه مراحمه وبركاته ، لكن هذا الشعب لم يدرك الإمتيازات التى أعطاها الرب له ، ولم يُقدّروا ما يحاول أن يصنعه معهم ، فهم لم يرضوا بنواميسه وشرائعه ووصاياه وأحكامه المقدسة ، وفضلوا عليها أحكام ملك بشرى ناقص خاطئ مثلهم يرجعون إليه فى أمور حياتهم ، وإنه لمن السخرية بمكان أنهم حسدوا الشعوب الأخرى التى لم تعرف الله لأن لها ملوكاً يحكمونها ،وأرادوا أن يتمثلوا بها .

وهكذا حول الإنسان علاقته الشخصية مع الله إلى مؤسسة سياسية دينية ، مفسحاً المجال أمام الملوك والمسؤولين أن يضعوا دساتيرهم البشرية لتُملى عليه قواعد السلوك والتصرفات كشرطى يوجهه حيث يشاء ، ولا شك أن هذا يفتح الباب واسعاً أمام وجود وسائط بشرية بين الإنسان والله لكن الله الذيتبنى كل من يؤمن به يريد أن يقود الإنسان بالروح القدس الساكن فيه ويريد من الإنسان أن يوجه قلبه إليه ويطيعه كإبن حبيب ، بدلاً من أن يقتصر " الدين " على السلوك الإجتماعى ، يقول الله " إجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً ، ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين : إعرفوا الرب ، لأنهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم ، يقول الرب " ، يريد الله إذاً أن نسترشد بقوانينه التى يطبعها على قلوب أبنائه ، لا على أوراق أو ألواح حجرية ، ولا شك أنه إذا كانت علاقة الإنسان صحيحة مع الله فإنها ستكون بالتالى صحيحة مع أخيه الإنسان ، لهذا يقول السيد المسيح " تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك وقريبك كنفسك " (لوقا 10 : 27) ، إن قيام الدولة يستلزم إتخاذ قرارات فردية أو جماعية تؤثر عل حياة الأفراد ، ولا يوجد أى ضمان أن تكون القرارات المتخذة سواء كانت فردية أو جماعية بغض النظر عن هوية أصحابها قرارات موحى بها من روح الله القدوس ، كما أن المهم فى الموضوع هو الروح الذى تنفذ فيه القرارات ، لأن الإنسان قد يطيع وصايا أو أوامر معينة بدافع خاطئ وبدون إحترام أو محبة .

وهنا تأخذ تصرفاتنا قيمة إجتماعية محدودة ، لكنها لا تعنى شيئاً بالنسبة لله لأنها لا تقربنا منه ، فهو يهمه الدافع أكثر من الفعل نفسه ، ويهمه القلب أكثر من القالب .

إن فكرة وجود الدولة المسيحية تفترض وتسلتزم وجود الوصاية الروحية والمدنية على أفرادها ، ومع أن الله يأمر المؤمنين أن يطيعوا رؤساءهم ، فقد يعمد هؤلاء الرؤساء إلى تجاوز حدودهم والتسلط عل رعاياهم ، وإن أخطر إحتمال وارد هنا هو أن يتحكم مسؤول من هؤلاء فى علاقة شخص ما بالله ويحدد علاقته بخالقه من خلال الشروط والفرائض والواجبات التى يتوقع منه إنجازها ، ويقرر مدى تقصيره فى علاقته بالله ، وهنا لابد من الإشارة أن رسل المسيح كانوا يناشدون المؤمنين ويتوسلون إليهم ألا يخطئوا ، يقول بولس " فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحةحية مقدسة مرضية عند الله ، عبادتكم العقليةولا تشاكلوا هذا الدهر " رومية 12: 1،2 وحينما كان الرسل يحثونهم على حياة الطهارة والقداسة ، كانوا يطلبون إليهم أن يتمثلوا بالمسيح كقدوة ويأخذوا قوة من روح الله حتى يتمكنوا من السلوك الروحى المرضى لدى الله .

وقد تجرأ بعضهم (الرسل) بأن يطلبوا إلى المؤمنين أن يتمثلوا بهم ثقة منهم بأنهم قد تمثلوا بالمسيح بطريقة واضحة مشهود لها .

يقول بولس " لكى نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا " (2 تسالونيكى 3: 9) ، لم يلوحوا بعقاب صارم ، ولم يعتبروا أن وضعهم كرسل للمسيح أعطاهم نوعية مختلفة من الإيمان عن غيرهم ، يقول بطرس فى بداية رسالته الثانية " سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح " حتى إن المسيح نفسه رفض أن يكون قاضياً بين الناس أثناء حياته على الأرض ،وأعتبر أن مهمته الآن ومهمة جماعة المؤمنين - الكنيسة - هى الدعوة للخلاص وتوضيح طريق الإقتراب إلى الله ، حين جاءه أحدهم يطلب إليه أن يحكم بينه وبين أخيه ، قال " من أقامنى عليكما قاضياً " (لوقا 12: 14) ، إن الإهتمام بالأمور المدنية والإنشغال بها فخ يقصد من الوقوع فيه الإبتعاد عن الإهتمام بأمور الله

لم يرغم المسيح أحداً من الناس على الإيمان به ، ولا طلب من أحد أن يفعل ذلك ، ولا فوض أحداً بشن حملات " صليبية " تخفى براثنها الشريرة خلف صليب المحبة والرحمة والفداء ، لأن الناس ، مهما كان موقفهم من المسيح ، ليسوا هم أعداءه ، فالمسيح يحب الناس ، كل الناس بغض النظر عن جذورهم وإنتمائهم وعقائدهم ، يكره خطاياهم وشرورهم ولكنه يحبهم ، فالمسيح يفرق بين الخطية والخطاة ، إن من يعتاد على إرغام رعايا دولته على طاعته يسهل عليه محاولة الإنطلاق بجيشه خارج بلاده وإخضاع من يريد إخضاعهم ولقد حذر المسيح من إستخدام السيف والأخذ بالثأر قال السيد المسيح موبخاً بطرس الذى أستخدم سيفه فى قطع أذن رئيس الكهنة " رد سيفك إلى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون " (متى 26: 52) .

لقد اساء الذين قاموا بالحروب الصليبية إلى إسم المسيح وإلى مفهوم الصليب وإلى المسيحية عامة ، وساهموا فى إعطاء صورة مغلوطة عنها ، حين يُسيّس الدين ، فلابد أن يسئ إلى كل من الدين والسياسية على حد سواء ، ولابد أن يظهر فشل هذا المشروع للعيان ، وإن تجربة الكنيسة البابوية عبر التاريخ مثال واضح لما نقول ، فكم أتخذت من قرارات غير سليمة وطلعت بفتاوٍ دون أى سند من الكتاب المقدس بقصد إحكام السلطة الكنيسة على أمور السياسية ، فأقامت محاكم التفتيش وأصدرت صكوك الغفران وحللت وحزمت ما شاء لها ذلك ، حتى أنها تجرأت حديثاً على إضافة كتب وأسفار جديدة لم يوح بها الله ولم يقبلها المؤمنون الأوائل أو الأواخر . ليس ملكوت الله ملكوتاً سياسياً ، قال السيد المسيح " مملكتى ليست من هذا العالم " (يوحنا 18: 36) .

كما قال عن تلاميذه " ليسوا من العالم كما أنى لست من العالم " (يوحنا 17: 14) ، كما قال بولس " لأن سيرتنا (أى مواطنتنا) هى فى السماويات " (فيلبى 3: 20) .

فعيون المؤمن مثبتة على السماء حيث الوطن الدائم وحيث مسكن الله مع الناس ، المسكن الأبدى والراحة والأبدية ، يقول كاتب الرسالة إلى العبرانين " لأن ليس لنا هنا مدينة باقية ، لكننا نطلب العتيدة " (عبرانيين 13: 14) .

كما أوضح السيد المسيح أن مكان الملكوت هو داخل المؤمنين الذين يسيطر عليهم ويقودهم الله بروحه القدوس ، قال " ملكوت الله داخلكم " (لوقا 17 : 20) ، كما يقول الكتاب المقدس " لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله " (رومية 8: 14) ، وحين يُطاع المسيح ، فإنه يصبح ملكاً بالفعل .

يعلم الكتاب المقدس أن هناك شروطاً للإنتساب إلى ملكوت الله ، فقد أشترط يوحنا المعمدان التوبة للحصول على مغفرة الخطايا ، قال " توبوا لأنه قد أقترب ملكوت السموات " (متى 3 :2) يبدأ الدخول فى ملكوت الله بالإيمان بالمسيح ، ويصاحب هذا فقدان الجنسية السابقة فى مملكة الشر والظلمة ، يقول الكتاب المقدس إن الله " أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت إبن محبته الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا " (كولوسى 1: 14،13) .

كما أن البنوة لله شرط لازم للدخول إلى الملكوت الذى يورثه لأبنائه المؤمنين ، يقول المسيح " تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملكوت المعد لكم " (متى 25: 34) ، ومن البديهى أن يكون الإبن غير مضطر أن يفعل شيئاً حتى يرث أباه ، فملكوت الله أثمن من أن نتمكن من دفع ثمنه بأعمالنا الصالحة وجهودنا الشخصية ، يقول الكتاب المقدس " فإن كنا اولاداً فإننا ورثة أيضاً ، ورثة لله ، ووارثون مع المسيح " (رومية 8: 17) .

ليس ملكوت الله مقصوراً عل جنس دون آخر ، أو أمة دون أخرى ، فعندما أثبت اليهود عدم أهليتهم كأمة لحمل رسالة الله إلى العالم ورفضوا ملك الملكوت يسوع المسيح ولم يؤمنوا به ، خاطبهم قائلاً " لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره " (متى 21 : 43) ، ولعل هذا دحض كاف لحق اليهود المزعوم فى إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين ولقد كان سبب رفض اليهود للإيمان بالمسيح هو أنه رفض ان يكون كما صوروه لأنفسهم ، مجرد ملك سياسى ومحرر وطنى ، وكانوا يتوقعون منه أن يحررهم من براثن الحكم الرومانى وإقامة مملكة أرضية يكونون فيها أصحاب الحظوة والسلطان فخاب ظنهم فيه ، فملكوت الله يتألف من كل فرد يرتضى أن يجعل من المسيح سيداً وملكاً عل حياته .

ويتسع هذا الملكوت ، لا بالسيف كما تتسع الممالك الأرضية ذوات النوازع الأنانية والمصالح الوقتية المحدودة ،وإنما بإزدياد عدد المؤمنين الحقيقيين بالله ونمو إيمانهم فيه وطاعتهم له ،وهذا ما قصده المسيح عندما علم تلاميذه أن يصلوا قائلين " أبانا الذى فى السموات ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك " (متى 6 : 10) . وهو لا يتسع بالفتوحات العسكرية والسيف ، لأنها تخرج به عن طبيعته النقية المسالمة ، وتهدم أساس دعوته .

أما طبيعة الملكوت ، فهى إلهية روحية ، يقول بولس " ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً ، بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس " (رومية 14 : 17) ، وهذا يعنى أن سعادة المؤمن تكمن فى الأستمتاع بمحضر الله والأمور الروحية السامية ، وليس فى الأمور الجسدية والملذات

غير أن الكتاب المقدس يعلّم أيضاً عن عهد قادم على هذه الأرض حين سيجئ المسيح ويحكم مدة ألف عام مع جماهة المؤمنين به ، وتسمى هذه الفترة بالحكم الألفى ، وتأتى هذه الفترة بعد سبع سنين من ضيق عظيم سيمر به الساكنون على الأرض تحت حكم " المسيح الكذاب " أو " إبن الهلاك " الذى سيضل كثيراً من الناس ، وفى هذه الفترة يتم تقييد الشيطان حتى لا يضل أحداً ، يقول الكتاب " فقبض على التنين ، الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة ، وطرحه فى الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الألف سنة ، وبعد ذلك لابد أن يحل زماناً يسيراً" (رؤيا 20: 2،3) وسيسود السلام أرضنا فى هذه الفترة ، ويتحول الناس من القتال إلى البناء .

يقول الكتاب " فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرة فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل ،لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فى ما بعد " (أشعياء 2: 4) ، ويقول " فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمّن معاً ،و صبى صغير يسوقها ، والبقرة والدبة ترعيان ، تربض أولادهما معاً والأسد كالبقر يأكل تبناً ، ويلعب الرضيع عل سرب الصل ، ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان ، لا يسوؤون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر " (أشعياء 11 : 6-9) .

صحيح أن المواطن المؤمن يعتبر نفسه متغرباً على هذ الأرض (1 بطرس 2 : 11) ، لأن وطنه الحقيقى الدائم فى السماء ، لكن هذا لا يعفيه بأى حال من الأحوال من مسؤوليته كمواطن وواجبه تجاه أبناء بلده الذن يشترك معهم فى مختلف وجوه الحياة ، حيث تربطهم المصالح المشتركة والثقافة والتاريخ واللغة والأمال ، بل يفترض فيه أن يكون أول الناس وأكثرهم حباً للوطن وحماساً له وغيرة على مصالحه ،ليكون قدوة لغيره ، فينجذبوا إلى المسيح ، قال المسيح " فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى فى السموات " (متى 5: 16) كما حث المسيح على تأديتنا إلتزاماتنا ، قال " أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله " (لوقا 20: 25) .

إن قيام دولة مسيحية أو غير مسيحية يفترض العمل على التخلص من سابقتها ، فلابد من العمل على مقاومتها والإطاحة بها ، بينما يعلم الله فى الكتاب المقدس ضرورة إحترام السلطة القائمة ، تقول كلمة الله فى بطرس " فأخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب ، إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ، أو للولاة فكمرسلين منه للإنتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير ، لأن هكذا هى مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر بل كعبد لله ،

أكرموا الجميع ، أحبوا الإخوة ، خافوا الله أكرموا الملك " (1بطرس 2: 13-17) .

فالمؤمن لا يسعى للإستقلال عن سلطة الدولة ولا يشارك فى إنقلاب ضدها ، ويحذر بولس من التفكير بأمر كهذا ، يقول " لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ،والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة ،فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة ، أفتريد أن لا تخاف السلطان ؟ إفعل الصلاح فيكون لك مدح منه ، لأنه خادم الله للصلاح ، ولكن إن فعلت الشر فخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر ، لذلك يلزم أن نخضع له ، ليس بسبب الغضب ، بل أيضاً بسبب الضمير ، فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً ، إذ هم خدام الله

كما يطلب إلينا الله فى الكتاب المقدس أن نصلى من أجل ملوكنا ورؤسائنا ، فنطلب لهم الخير والبركة والحكمة والإرشاد من عند الله حتى نستطيع أن نعيش فى سلام ، يقول بولس " فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وإبتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس ، لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون " (1 تيموثاوس 2 : 1- 4) .

فخلاصة القول هو أن الكتاب المقدس لا يدعو لإقامة دولة مسيحية على أسس دينية لكن الله يريد أن تمتلئ الأرض من معرفته وأن يقبل الجميع خلاصه ويسلكوا فى وصاياه متجاوبين مع محبته .